

سلطان ناجي

عدن، مجلة دراسات الصادرة عن مؤتمر الخريجين بعدن، العددين الأول و الثاني، 1965م

ماساهم به الكتاب الغربيون في دراسة جنوب الجزيرة*

لودفيك دي فارتيمما

VARTHEMA, L.Di.

Travels (Hakluy Series, translated by J.W. Jones, London, 1863)

إيطالي من بولونيا. أبحر من مدينة البندقية عام 1500م مدفوعاً برغبته الشديدة "في تغيير مناظر بلاده و محل إقامته، و لكي يرى بلاداً جديدة و يتعلم أشياء جديدة".

نزل مصر ثم أبحر إلى بيروت فحلب فدمشق حيث تعلم اللغة العربية، ثم سافر متخفياً مع قافلة المماليك لحراسة الحجاج تضم ستين ألف محارباً و خمسة و ثلاثين ألفاً من الجمال.

و قد أستطاع أن يصل عدن عام 1503م "عاصمة العربية السعيدة و أمنع مدينة رأيتها في حياتي على وجه البسيطة". و قد وجدها مدينة مسورة تحرسها الجبال و الحصون و ميناء تلتقي فيه سفن الشرق و الغرب. و قد لاحظ فارتيمما إن السفن الشراعية الراسية في الميناء تنزع عنها الأشرعة و تؤخذ منها المراسي و ذلك حتى لا تتمكن من الإبحار قبل دفع الفوائد و المكوس.

قبض على فارتيمما بتهمة التجسس للبرتغاليين الذين بدأوا في ذلك التاريخ يحومون في مياه الخليج. و مما زاد الطين بلّة أن شهد عليه بحاران كان البرتغاليون يطاردونهما في مياه الخليج، فكبل بالقيود و رمى به في السجن. و من عدن حمل على ظهر أحد الجمال إلى مدينة تعز ليقابل السلطان الطاهري فأنكر التهمة الملققة به و أدعى الإسلام، فأمره السلطان النطق بالشهادتين و لكنه كان منهوك القوى و لم يستطيع، نظراً لضعف جسمه و فقدان ذاكرته، النطق بهما بطلاقة و هو في ذلك لا يعلم فيما إذا كان ذلك حدث بإرادة الله أم نتيجة للخوف الذي تملكه.

أودع السجن من جديد ففكر في حيلة ، و كان أن تصنع الجنون ليطلق سراحه في النهار و كان ما أراد. إلا أن إحدى زوجات السلطان رأته و هو يعري جسده فأخذتها الشفقة لأنها لم ترى في حياتها جسداً أشد بياضاً من جسده. فكانت تقوم بزيارته كل ليلة و تحمل إليه معها أطيب المأكولات و أفخر العطور.

يقول فارتيمما "بدأت السلطنة تتنازل بالنزول إلى الغرفة الأرضية التي كنت فيها كل ليلة ، و كانت تحمل لي معها دائماً مأكولات طيبة ، و لما كانت تدخل حيث كنت مسجوناً كانت تناديني بقولها: تعال هنا يا لودفيك، ثم تسألني قائلة :أنشعر بالجوع؟ و كنت من شدة جوعي أقول لها نعم ، و كنت أبعج

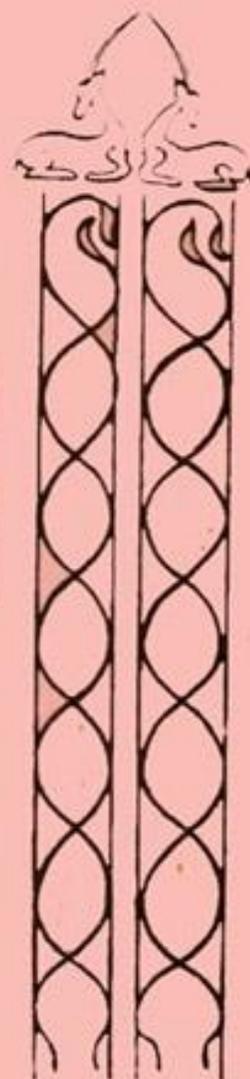
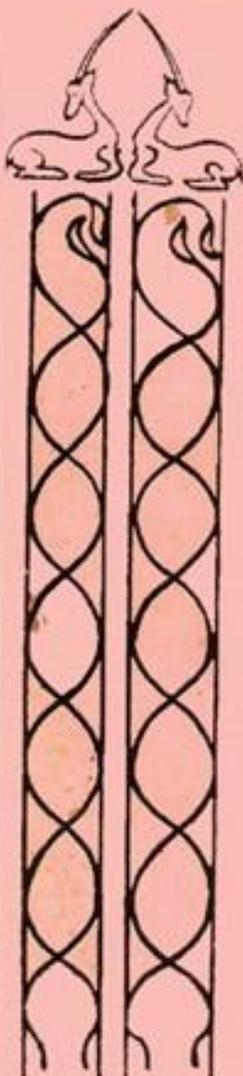
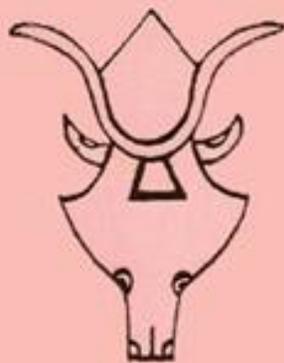
نحوها بقميص و لكنها كانت تقول لي: لا .. ليس هكذا بل أخلع عنك قميصك. و كنت أخلع قميصي و أعزّي الجزء الأعلى من جسدي لإرضائها، و كانت المسكينة تبقى ساعتين و هي تتأمل جسدي و هي تبكي و تنتحب و تتضرع إلى الله قائلة: ياإلهي سبحانه اللهم و بحمدك جلت قدرتك، إنك خلقت هذا الرجل أبيض كأنه قطعة من الشمع أما زوجي فقد خلقتة أسود فأرزقني مولوداً أبيض كهذا الرجل ". و يحصل فارتيمما على ما أرادته، فقد توسطت له عند السلطان و أطلق سراحه حيث عاد إلى عدن.

و من عدن زار مدناً كثيرة مجاورة. يقول فارتيمما أنه شاهد كميات لا يحصى لها عدداً من النخيل في لحج، و بالرغم من أن لحج مكثفية بجميع المواد إلا أنه كان فيها نقص في الأخطاب.

و في يريم شاهد رحالتنا أنواعاً من الأغنام المخاصي السمينة الكبيرة الذيول التي يزن ذيل الواحد منها الأربعة و أربعين رطلاً. أما في صنعاء فبجانب كثرة القروذ، فقد أدهشه عادة أحد أبناء السلطان الغربية الذي كان "إذا ما أشتد هياجه و غضبه، يعض الناس و يأكل من لحومهم حتى يشبع".

.....
* توجد طبعة حديثة و معدّلة لهذا البحث نشرت عام 1971م في مجلة الثقافة الجديدة، العدد التاسع، السنة الأولى، بعنوان: اليمن في المؤلفات الغربية. (للمزيد راجع: "قائمة الأعمال").

مؤتمر الدراسات والبحوث
عن مؤتمرات جامعة صنعاء
صنعاء - اليمن



دراسات

مؤتمرات الخرجين